مسؤولية الشعر والشعراء

المكان: طهران

الزمان: ١٣٩١/٥/١٤ش. ١٤٣٣/٩/١٥هـ. ٢٠١٢/٠٨/٠٤م.

الحضور: جمع من الشعراء

المناسبة: ذكرى ولادة الإمام الحسن المجتبي(ع)

بسم الله الرحمن الرحيم

كما هو دائماً، جعلتم أيها الأصدقاء الشعراء الأعزاء ليلة العيد هذه أكثر عيداً وحلاوة، فوفقتم إن شاء الله. القصائد التي قرئت كانت في الغالب قصائد جيدة، وبعضها كانت ذات نقاط مميزة. نتمنى إن شاء الله أن تتقدم قافلة الشعر في بلادنا، وخصوصاً شعر «الغزل» بسرعة ودقة واتجاه صحيح، ويستطيع بلدنا العزيز واللغة الفارسية بفضل أشعاركم أن يهدي للحضارة العالمية والثقافة العالمية وخصوصاً ثقافة المنطقة هدية قيمة مرة أخرى.

أذكر هنا نقطتين أو ثلاثاً. إحدى النقاط هي أن الشعر تقدم في بلادنا بشكل جيد، ولكن ثمة نقطة أساسية هي أن الشعر يجب أن يكون في خدمة القيم. لا أنكر أن الشعر مرآة لمشاعر الشاعر، ومن حق الشاعر أن يصبّ أحاسيسه وإدراكاته الشاعرية في قالب الشعر الذي منّ الله بقريحته عليه، ويعرضه، هذا ما أوافقه تماماً، لكن الشعر كفنّ سام وفن أعلى وأسمى وكنعمة إلهية كبيرة له مسؤوليته وعليه واجبه. ما عدا التعبير عن المشاعر، للشعر مسؤوليته. واعتقد أن تلك المسؤولية هي أن يكون الشعر في خدمة الدين والثورة والأخلاق والمعنوية. إذا نهض الشعر بهذه المسؤولية يكون الحق قد تحقق. أي إنه تمّ

إنجاز عمل حق وعادل. على شعرائنا أن يتجهوا بهذا الاتجاه ويوجدوا مضامينهم ويبذلوا مساعيهم ويفجّروا أذواقهم وقرائحهم في هذا الاتجاه. طبعاً في الوقت الحاضر وخصوصاً في هذا المحفل ليست هذه الأحوال بقليلة والحمد لله، لكنني أصرّ على ضرورة أن يشعر المرء بهذا الشيء بنحو أوضح في مجمل المسيرة الشعرية للبلاد.

لاحظوا، يجب تشخيص واجب الشعر كفنّ، وواجب الشاعر كفنان حيال الخلقة، وحيال الله تعالى، وإزاء الالتزام الإسلامي والثوري، كما يجب أداء هذا الواجب والنهوض به. وهذا الواجب هو دفع عباد الله نحو الله، ورفع مستوى الأخلاق والمعرفة في المجتمع. طبعاً للشعر واجبات أخرى، لكن هذا هو الأساس. ينبغي أن يكون الشعر باعثاً لرقي معرفة الناس، ودينهم، وأخلاقهم، والحركة الثورية لشعبنا وهي ظاهرة جد قيمة ونادرة. هذه أمور ينبغي ملاحظتها في الشعر.

أنا طبعاً أشدّد على شعر «الغزل»، ولا أقول لا تنظموا «القصائد»، ولا أقصد أن «القصيدة» أو «القطعة» ليست قوالب شعرية مقبولة، بلى هي مقبولة، ولكن حيث أن قالب الغزل أكثر قوالب الشعر تأثيراً، لذا فالأفضل لهذه المفاهيم التي نروم نشرها في المجتمع بواسطة الشعر أن نصوغها في قالب الغزل. وقد يقول قائل إننا إذا سردنا مكارم الأخلاق من أول الغزل إلى آخره فأي غزل سيكون هذا؟ وأين ستذهب مشاعرنا إذن؟ أنا لا أقول إن عليكم أن تحذوا حذو بيدل مثلاً فتتحدثوا بالعرفانيات من أول الغزل الذي لا يزيد عن عشرة أبيات أو إثنى عشر بيتاً إلى آخره، أو تنظموا على غرار الشعر الأخلاقي لصائب التبريزي فتملأوا كل مصاريع وأبيات غزل ذي عشرة أبيات أو ثمانية أبيات بالمفاهيم الأخلاقية، وبالطبع ليس هذا بالفعل اليسير السهل الذي يقدر كل شخص عليه، بل أقول إنكم إذا خصصتم بيتاً واحداً في غزل من سبعة أو ثمانية أبيات لمضمون ثوري أو أخلاقي أو معرفي، سيكون هذا الغزل غزلاً ثورياً، وسيكون هذا الغزل غزلاً أخلاقياً يترك تأثيراته.

لنفترض أن معلم الرياضيات يتحدث أثناء درس الرياضيات بكلمة واحدة عن التوحيد أو الخلقة أو عصمة الأنبياء، أظن أن تأثير هذا قد يكون أحياناً أكثر من ساعة كاملة من دروس معلم التعليمات الدينية. والذي أطلبه هو هذه الأبيات الفريدة في غزلياتكم. نظموا غزلكم، وفرغوا فيه كل أحاسيسكم وعواطفكم وما لديكم من عشق ووجد، ولكن خصصوا في هذا الغزل ذي السبعة أو الثمانية أبيات بيتين للمضامين الإسلامية والثورية والأخلاقية الأصيلة. هذه نقطة وهي نقطة مهمة.

نقطة أخرى هي أن الغزل في الحقيقة يعتمد على ثلاثة أركان: اللفظ والمضمون والإحساس. ويجب أن لا يضعف أي واحد من هذه الأركان الثلاثة. اليوم حيث قرأ السادة والسيدات شعراً غزلياً لاحظت أن الألفاظ أيضاً قد تحسّنت لحسن الحظ. بعض الأشعار التي ينظمها الشباب ليس لها من حيث اللفظ القوة والجاذبية اللازمة. أحياناً تخطر في بالهم مضامين جيدة لكن اللفظ قد يكون أساساً خطأ من حيث قواعد اللغة، أي إنه ليس غير ممتاز وغير راق وحسب، بل وخطأ.. يجب أن يكون هنالك فعل ولم يكن، أو جاء فعل في غير موضعه، أو يجب أن يتطابق الفعل مع حالاته المشابهة له ولا يتطابق. أحياناً توجد مؤاخذات من هذا النوع. ينبغي أن تحاولوا أن يكون الغزل – الشعر عموماً، وموضوع بحثنا الآن هو الغزل – صحيحاً ومتيناً ومنظم المفردات من حيث اللفظ، أي يكون قوياً محكماً، ويكون فيه لطف وجمال أيضاً، فهو فن بالتالي.. هذا هو فن الشعر. هذا بخصوص اللفظ.

والمضمون قضية مهمة أخرى. نعتقد أن المضامين لا تنتهي أبداً. وكما قال صائب التبريزي:

يمكن التحدّث عمراً بأكمله عن جدائل الحبيب

فلا يحزنك إن لم يبق مضمون تقوله[1]

والحق أن المضامين لا تنتهي، لأن ذهن البشر لا ينتهي. نحن نصاب بالكسل، ونلتصق بالمضامين التي قالها الآخرون ونكررها، لكن المضامين لا تنفد حقاً. أحياناً يلاحظ المرء مضامين بكراً وغير مسبوقة أبداً في أشعار الشباب، وهذا شيء له قيمة. إذن، ينبغي النظر للمضمون بجدّ، أي ينبغي أن تسعوا لصناعة المضامين وصياغتها، والعثور عليها على حدّ تعبير القدماء. يمكن استقاء المضامين من متن الحياة. كانت ثمة أشياء في الماضي، مثلاً كانت هناك الشموع، واليوم توجد البروجكترات. وقد جعلوا الشمعة محوراً لمئات المضامين، ويمكنكم بالتأمل والتفكير أن تجعلوا مصابيح الكهرباء والبروجكترات محوراً لمضامينكم. أي إن صناعة المضامين وخلقها يفهم بالنظر للحياة المحيطة بالشاعر. وطبعاً للمطالعة الداخلية والانبثاق الداخلي والولادات الذهنية دور جد مهم.

وهناك أيضاً المشاعر والأحاسيس. المشاعر مهمة جداً في الغزل، ويسمونها العشق، لكنها ليست دوماً من العشق، إنها أحياناً العشق وأحياناً ضد العشق. الغضب مثلاً هو بالتالي من المشاعر. ليس الغزل ممكناً من دون مشاعر. راعوا هذه الأمور الثلاثة. ولتكن المفاهيم – كما ذكرنا – في خدمة هذه العناصر الثلاثة الأصلية، أي الثورة والأخلاق والمعرفة.

هناك قضايا مهمة في بلادنا يمكن للشعر أن يستفيد منها ويعمل على خدمتها. وهي ليست بالمفاهيم الشخصية بل هي مفاهيم وطنية. مثلاً يفرضون علينا اليوم ظلماً نووياً كبيراً. صحيح إنهم لا يمارسون ضدنا مذابح جماعية كما في بورما، وأيديهم مغلولة طبعاً، ولو

---

[1] يك عمر ميتوان سخن از زلف يار گفت در بند آن نباش كه مضمون نمانده است

أمكنهم ذلك لفعلوه، لكنهم لا يستطيعون، إلا أنهم يفعلون ما يقدرون عليه من ظلم ضد هذا الشعب وهذا البلد. هذا موضوع مهم بالتالي. أو خذ إليك مثلاً أنهم يقتلون علماءنا.. هذه ليست بالظاهرة الصغيرة، بل هي ظاهرة مهمة. يريدون اغتيال هذه الشخصيات، فهم إرهابيون. حين يقصد الإرهابيون العلماء فإن القضية تتجاوز مجرد الاغتيال وتتحول إلى قضية جبهات متقابلة وعداء للعلم وللنمو العلمي في البلاد ولتخريج علماء في هذه البلاد.. هنا تكتسب القضية أبعاداً أوسع. إذن، هذه قضية وطنية كبيرة، ويجب أن تجد هذه الأمور انعكاساتها في الشعر. كما يخطر ببالكم أن تنظموا الشعر لبورما مثلاً، أو لمصر، أو للصحوة الإسلامية، أو لفلسطين، أو لحرب الثلاثة وثلاثين يوماً – وأنتم تنظمون وهذا جيد وضروري – فإن القضايا القائمة في بلادكم بدورها قضايا لا يمكنكم غضّ الطرف عنها، ويجب أن تدخل إلى عالم الشعر.

ثمة أناس لا يهتمون إطلاقاً لشؤون البلاد وقضاياها. رأيت أناساً يدّعون حبّ الوطن وعشق هذا الماء والتراب لكنهم لا يأبهون لقضايا هذا التراب. كانت في هذا البلد حرب لمدة ثمانية أعوام، ولم تكن الجمهورية الإسلامية هي التي شنت هذه الحرب، إنما فرضت عليها. طيب، الذين يعارضون الجمهورية الإسلامية ماذا كان يجب أن يكون موقفهم في هذه الحرب؟ ماذا كان يجب أن يفعلوا؟ الحكومة حكومة الجمهورية الإسلامية، لكن الشعب شعب إيران، إنها مدن دزفول وخرمشهر وطهران، فلماذا بقوا لاأباليين تجاهها؟ لماذا بقي شعراء معروفون، وفنانون معروفون، وكتاب رواية معروفون، وكتاب مقالات معروفون، ومثقفون معروفون غير مبالين تجاه هذه القضية؟ ألا يعتبر عدم الاكتراث هذا عيباً؟ إنه أكبر عيب. إيران هي نفسها إيران.. ألم يهاجم العدو هذا البلد؟ ليس لديهم أية حجة في ذلك. أقصى ما يستطيعون أن يقولوه دفاعاً عن أنفسهم هو أن يقولوا إننا لسنا على وفاق مع الجمهورية الإسلامية، وهذه العصبية منعتنا من أن نقول كلمة واحدة عن إيران وعن طهران وعن خرمشهر وعن شباب هذا البلد في أشعارنا

ونثرنا ورواياتنا. وهذا الدفاع نفسه – وهو أقصى ما يستطيعون قوله – أكبر عار عليهم أن يسود مثل هذا التعصب أذهان وأرواح وأقلام وقلوب جماعة من الناس.

وكذا الحال اليوم.. ترون اليوم أن جبهة الاستكبار تقف بكل كيانها وبكل قدراتها وبكل قوتها الإعلامية وبكل إمكانياتها التنظيمية السياسية مقابل شعب إيران، وتعمل ما تعمل – أما مقدار ما تؤثر أعمالهم هذه أو لا تؤثر فهذا بحث آخر – والعدو بالتالي يمارس خبثه ولا يقصّر في ذلك، ويشفي غليل روحه القذرة الخبيثة الملعونة بمواجهته للشعب الإيراني ولبلد إيران. وهنا أيضاً تقف الصدور دروعاً في مواجهته وتستقيم وتقاوم وتدافع. وهذا بالتالي حدث وطني، فهل يمكنكم نسيان الحدث الوطني؟ هذه أمور يجب أن تنعكس في الشعر. وأكرّر إنني لا أصرّ على أن تنظموا قصيدة من خمسين بيتاً في هذه القضية، لا، انظموا غزلاً من سبعة أو ثمانية أبيات يعبر فيه بيت أو بيتان أو لمحة فيه عن هذه القضية. هذه أمور لازمة. ينبغي في المواجهة بين الحق والباطل أن يكون للإنسان موقفه بالتالي، ولا يمكن البقاء بدون موقف.

والقضية الأخلاقية أيضاً على هذا الغرار. الالتزام والعبثية قضية بحد ذاتها. البعض لأنهم أصحاب موقف سلبي من الالتزام الثوري والديني يدعون للعبثية والعدمية وإهمال القضايا المهمة، والحال أن ما يرفضونه هو الالتزام بالدين والثورة والأخلاق، وليس الالتزام للأجنبي. الآن سمعنا في شعر السيد أميري هذه النقطة. إنهم لا يرفضون أبداً الالتزام للأجنبي وإرادته، بل يلتزمون بها. إذن ثمة هناك التزام لكنه التزام للعدو وللأجنبي! وكأن الالتزام للدين والأخلاق والمعرفة وقضايا البلاد والثورة شيء سلبي يجب أن يفرّوا منه، لذلك يميلون نحو العبثية ويدعون إليها. يجب أن يكون للمرء موقفه حيال هذا الوضع، وينبغي مواجهة التهديدات التي يتعرض لها الدين والثقافة والأخلاق في المجتمع.

وأذكر نقطة أخرى. لينتبه شعراؤنا الشباب – وأتمنى أن يحفظكم الله جميعاً، وأنا أدعو لكم حقاً أن تتثبّت أقدامكم على الصراط المستقيم وتواصلوا المسير عليه – من أن

تجتذبهم الأقطاب السلبية والأقطاب المضرة. مثل هذه المساعي تبذل الآن. بعض هؤلاء العبثيين الذين لا يستسيغون الالتزام الثوري والديني والوطني – والذين لا ينزعجون بنفس المقدار، ولا حتى بأقل منه بكثير، من الالتزام لأعداء الثورة والبلاد، بل ويميلون إليهم ! – قد يلوّحون ببعض الإغراءات. طالعت غزلاً جميلاً للسيد فاضل[٢] العزيز:

يأخذونك من الحديقة ليزينوك بالمصابيح

وليجعلوك صنوبر أعياد الشتاء

بارك اللهُ ! وقد قرأتُها الآن «يأخذونك»، وربما قرأها البعض «يقطعونك»، ولكن إذا قرئت «يقطعونك» تحتاج إلى كلمة «حتى»: يقطعونك من الحديقة حتى يزينوك بالمصابيح. أما إذا كانت «يأخذونك» فلا تحتاج إلى «حتى»، مثلاً يأخذونه يجعلونه عريساً أو يأخذونها يجعلونها عريسة. ولهذا قرأتُها «يأخذونك».

يأخذونك من الحديقة ليزينوك بالمصابيح

وليجعلوك صنوبر أعياد الشتاء

ومضمون بيت آخر في الغزل هو: يوسف.. لا تفرح بخروجك من البئر، فهم يأخذونك هذه المرة ليحبسوك.

على كل حال دققوا في المحافظة على الخطوط والحدود والمقادير. إنكم جبهة كبيرة تدافعون عن الحق والمعنوية. إنكم تجاهدون من أجل الحق والمعنوية، وتنفقون أرصدتكم الفنية من أجلهما. وبعضكم يقول إننا على استعداد لبذل أرصدة أرواحنا في هذا السبيل.

---

[٢] الشاعر فاضل نظري.

دققوا ولاحظوا أن الصمود والاستقامة في هذه الجبهة أمر مهم جداً، وسوف تؤتي الاستقامة أكلها إن شاء الله. نتمنى أن يحفظكم الله تعالى جميعاً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.